

القدرات العقلية..وعلاقتها الجدلية بالتحصيل العلمي

يحظى موضوع القدرة الابتكارية والتفكير العلمي والموهبة باهتمام كبير من قبل العلماء والمتخصصين في علم النفس والتربية منذ النصف الثاني من القرن الماضي، والدليل على ذلك، الزيادة المطردة في عدد البحوث والدراسات التي تنشر في مختلف بلدان العالم، مما يبرز مدى الاهتمام المتزايد بالقدرة الابتكارية من قبل الباحثين السيكولوجيين والمربين.

ويرجع هذا الاهتمام المتزايد الى التطورات الحديثة الي يشهدها علم النفس، وعلوم التربية من جهة، والتقدم العلمي والتكنولوجي من جهة أخرى، بالإضافة الى توجه العلماء الى دراسة الابتكار كقدرة عقلية نامية، يمكن تربيتها منذ السنوات المبكرة من حياة الفرد، وذلك بالكشف عنها بواسطة اختبارات، وطرق علمية تساعد على انتقاء الأفراد الذين يتميزون بهذه القدرة لتوفير المناخ البيئي والتربوي المناسب لنموها نموا سليما.

ولا شك ان الاهتمام بالمبتكرين والقدرات الابتكارية له ما يبرره، ذلك انه من مقومات الحضارة الإنسانية، إذ ان الحضارات وجدت بالعقول المبتكرة، وبقيت صامدة في وجه الأحداث بما تحتويه من مبتكرات أبنائها مثل، الحضارة اليونانية، والحضارة الصينية وغيرها من الحضارات، مما يعني ان الأمم ترقى وتزدهر بما لديها من عقول نيرة مبتكرة. ومن هنا نجد المربين اليوم يولون اهتماما بالغا بالمبتكرين، ومحاولة البحث عنهم، وتخصيص لهم الأقسام الخاصة بهذا بغرض تربيتهم تربية تتوافق مع قدراتهم الابتكارية.

لقد بدأت مجتمعات العالم الثالث تتفطن في السنوات الأخيرة الى أهمية العقول المبتكرة في بناء الحضارة، وتقليص الهوة التي تفصلها عن المجتمعات المتطورة، فخصصت لذلك الأموال الطائلة، وبدأت تغير أنظمتها التربوية وتوجيهها وجهة تتوافق مع أهدافها ومطامحها لتحقيق الغايات المنشودة، إيمانا منها بأهمية عنصر التجديد في الحضارة، وهو ما يعني الإيمان بأهمية التربية في بناء وتجديد الحضارة، حيث ان عنصر التجديد هو من أهم مقوماتها.

والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها، ان الحضارة اذا فقدت عنصر التجديد لسبب ما، فإنها تصبح مهددة بالركود، ثم الانحطاط. وإذا كان للإصلاح عدة أغراض، فان من أهمها، شحذ عبقرية الأمة ودفعها الى الإبداع والتجديد انطلاقا من خدمة التراث الأصيل. فالاكتشاف لمجاهل الكون، هو إثراء للمعرفة وللمنظومة التربوية بحكم موقعها كالعمود الفقري في كيان الأمة الحضاري الشامل والمتكامل، والتي تحتاج الى الإصلاح لتساهم بدورها في عملية التغيير المنشود. فالتربية هي من

أهم وسائل الرقي الحضاري والازدهار الثقافي .وبذلك يمكن القول ان الحضارة اذا خلّت من عنصر التجديد،فإنها تفقد حيويتها ونموها.

وإذا كانت المدرسة في مرحلتها الأولى والمتوسطة،تمثل حلا بديلا للمشكلة التربوية،فان السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاتجاه هو، الى أي حد تساهم المدرسة في تنمية قدرات ومواهب وآراء الأفراد المتعلمين وخاصة فيما يتعلق بالقدرة على التفكير الابتكاري التي تعد من أهم القدرات العقلية التي تجعل الفرد يساهم في عملية البناء الحضاري؟،ذلك باعتبار ان الأمم اليوم ترقى وتزدهر بما لديها من عقول مبتكرة ومجددة.

والحقيقة أن الإجابة على هذا التساؤل المطروح،تتطلب دراسة علمية،تكشف عن مدى العلاقة القائمة بين ما يحصله الفرد المتعلم في هذا النظام التربوي وقدرته الابتكارية،فضلا عن تكوينه في الجوانب الأخرى من شخصيته،ذلك ان شخصية الإنسان تبقى وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة.....